عرض لكتاب زيف الاعتقاد في مضار تكاثر العباد(*)
دراسة في التأصيل الإسلامي حول علاقة السكان ودورهم بالنسبة لمشكلات الموارد والبيئة الطبيعية

للمرحوم البروفيسير / جعفر حسن الشايقي

*** د. حسن علي الشايقي†**

تتلخص الفكرة الأساسية لهذا الكتاب الذي يحو ي حوالي 350 صفحة حول قضية النمو السكاني وعلاقتها بالموارد والبيئة الطبيعية ذلك أنه منذ مطلع السبعينات من القرن الماضي ، يدور جدل في الأوساط العلمية مفاده أن البشر ية تواجه خطر الانقراض نتيجة للنمو السكاني المتزايد غير المحدود فوق عالم محدود وأن الزيادة السر يعة في عدد السكان تؤدي إلي استنفاد موارد الأرض المادية الطبيعية والتي هي ثابتة ومحدودة وغير قابلة للتجديد من المعادن والطاقة والمياه والتربة والغابات ، بل يزعمون أن العالم وصل بالفعل سعته الاستيعابية بحيث لايمكن لموارد الأرض المحدودة أن تواصل الوفاء بمطلوبات 6 بلايين (6 ألف مليون) نسمة دون أن تنهار وتحقق مذهب مالتوس المتمثل في حتمية تحديد النسل بتفشي الفقر وسيادة المجاعات المسببة للموت . كذلك يقول أصحاب هذه الفكرة من علماء الغرب أن التزايد المفرط في عدد السكان قد ترك أثرا سالبا علي رفاهية الشعوب وأصبح يمثل عبئا إضافيا علي الاقتصاد خاصة في الدول النامية ، مثال : يضم العالم اليوم 6 بلايين نسمة منهم 20% أي بليون واحد في الدول المتقدمة و80% أي خمسة بلايين نسمة من الدول النامية ، حيث تتمتع الدول النامية بمعدلات نمو عالية فمثلا يتضاعف سكان اندونيسيا مرة كل 24 سنة بينما يتضاعف سكان المملكة المتحدة مرة كل 140 سنة . صفوة القول إن مشكلة النمو السكاني هي مصدر لكافة الشرور المقترنة بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية التي تعاني منها شعوب العالم , والهدف الأساسي من هذا الكتاب هو الكشف عن بطلان هذه المفاهيم والاستنتاجات التي تصور النمو السكاني علي أنه ظاهرة سالبة ضارة وبيان

---

* هو أول كتاب تم طبعه من الأعمال الفائزة في جائزة الشهيد الزبير في مستوي العلميين

† أستاذ مساعد جامعة إفريقيا العالمية ، كلية الشريعة / قسم الدراسات الاسلامية

الدور الايجابي للتكاثر السكاني وأهميته بالنسبة لخدمة القضايا الدينية والاقتصادية والاجتماعية والحضار ية , وذلك من خلال الفرضيات التالية :-

نقص الغذاء :

لخص الكاتب أسباب نقص الغذاء فيما يلي :

عوامل طبيعية وبيئية وعامل الفقر وعامل التلف وعامل التخلف العلمي والتقني وعوامل تار يخية ودولية والهدر والتبديد وعامل الإفراط في تغذية الإنسان والحيوان ولنأخذ نموذجا واحدا من هذا العامل : يوجد 2ر1 مليار شاب علىمستو ي العالم في سن المراهقة مصابون بالسمنة بسبب الافراط في الغذاء وأن هذا الرقم مساو تماما لعدد من لايجدون مايكفيهم من طعام ، وتحتل أمر يكا المرتبة الأولي في العالم بالنسبة لمعدلات السمنة إذ يعاني 61% من سكانها من مشكلة الإفراط في الوزن وطبقا لبعض الدراسات الحديثة فإن السمنة والأمراض الناتجة عنها تكلف أمر يكا في كل عام أكثر من 50 مليار دولار من النفقات الصحية ولاشك أن خفض نسبة الذين يعانون من هذه المشكلة علىمستو ي العالم يمكن أن يوفر المز يد من الغذاء للمحتاجين في العالم ، وقد خلصت الدراسة إلي أن الإنتاج الكلي من الغذاء في العالم يكفي ويفيض علي حاجة سكان الأرض أجمعين وقد أكدت هذه الحقيقة العديد من الدراسات والأبحاث العلمية إذ إن سأساس المشكلة هو عدم التوز يع العادل للثروات وعدم تمكن العديد من الشعوب من نيل استقلالها الفعليوتقر ير مصير ثرواتها ، وهكذا تبدو مشكلة النقص في الغذاء معقدة ومترابطة الحلقات بسبب تعدد عواملها وفي ظل هذا الترابط والتعقيد لايمكن أن يعتبر عامل النمو السكاني فقط هو العامل الوحيد أو حتي الأهم .

نقص المياه :

تعد الماء من الموارد الحيو ية المتجددة والمتاحة للإنسان بدون مقابل وهو مورد استراتيجي تتوقف عليه حاجات عدة للإنسان مثل الشرب والغذاء والنظافة والطاقة الكهربائية والصناعية والنقل والترفيه وقد ذكرت وثيقة المؤتمر العالمي التاسع للمياه بمنتريال كندا سنة 1997 بأن هناك 300 مليون شخص في 25 بلداً في العالم تنقصهم حاليا المياه العذبة خلال القسم الأكبر من أليم السنة وا ذا لم تحل هذه

المشكلة فإن العالم سو اجه سنة 2050م مشاكل دائمة ومتعاظمة بسبب حاجة ثلثي سكان الارض للمياه وأطلق البعض علي هذا القرن ال 21 قرن حرب المياه ، ويعتقد الكثيرون بأن النمو السكانيالسر يع هو السبب الذي يؤدي إلي مشكلة نقص المياه إذ ل ز يادة عدد السكان يعنيز يادة الطلب علي المياه وهذا يعني أن النقص في المياه سيكون أمرا حتميا ، وبالرغم مما بذله المجتمع الدولي ومنظماته المختلفة من جهد لتوفير مياه الشرب والمرافق الصحية طيلة عقد الثماتيات إلا أن التقار ير تشير إلي أن سكان البلاد النامية (التي تضم 80% من سكان العالم) يعاني 31% من سكانها من نقص في مياه الشرب النظيفة و46%لاتتو افر لهم مرافق صحية مناسبة وتز يد هذه النسبة كثيرا فيالر يف ،إذ إن نسبة المياه العذبة المتو افرة في العالم هي 000ر45كلم3 فلو وزعت هذه الكمية بالتساو ي بين سكان الأرض لكان نصيب الفرد أكثر من مليونيجالون ، وا ذا علمنا أن الاستهلاك العالمي للمياه العذبة لايتجاوز 4500 كلم 3 لتبين أن الرصيد المتو افر من المياه العذبة المتساقط سنويا في شكل أمطار أكثر بعشرة أضعاف عن الكمية التي ينبغي توفيرها لتلبية جميع احتياجات البشر ، ومن فضل الله أن هذا الماء يتجدد وتتم تصفيته وتنقيته وتقطيره وتوز يعه بشكل دائم ومستمر بسبب دور ان المياه الطبيعى، مما سبق يتبين أن ماتتو افر من ماء في كوكب الأرض يكفي وز يد عن حاجة البشر بل يكفي لإعاشة أضعاف سكان العالم الحاليين , فإن كان هناك تعطش في المياه أو نقص فيها فإنه نقص في ظل الوفرة وبالتالي يمكن القول إن المشكلة ليست نقصا مطلقا بل هيمشكلة توز يع واستخدام ومن ثم فأسبابها ترجع لعوامل طبيعية وبشر ية تتعلق بذلك التوز يع والاستخدام ولايمكن إرجاعها فقط لعامل تزايد السكان .

تأثير السكان فى موارد الغابات :

تعد الغابات مصدرا حيو يا مهما بالنسبة للإنسان وخاصة فيما يتعلق بمطلوبات الحياة الأساسية من الطعام والشراب والهواء والوقود والملبس والمأو ي والتعليم والعلاج والترفيه فهي مصدر الخشب والحطب الذي يستخدم وقودا وفي الأعمال الإنشائية وتوفير المادة الخام لمختلف الصناعات ، وهي مصدر الصمغ العربي والمطاط وجوز الهند واللوز ونخيل الز يت والكولا والكاكاو و.. الخ وهي مصدر الأكسجين

الذي يستنشقه الإنسان فالنباتات بما فيها الغابات تتنفس في كوكبنا سنويا إلي الغلاف الجو ي بـ 350 مليار طن من الأكسجين علما بأن مايتنفسه البشر لايزيد عن مليار طن فقط سنويا, وتسهم الغابات بدور فاعل في الدورة المائية للكرة الأرضية أذ ان مساحة سطح أوراق الأشجار والأعشاب تز يد بمقدرا 22-28% علي مساحة الأرض الموجودة تحتها ، وتلعب الغابات دورا مهما في الإبقاء علي الاستقرار البيئي وحفظ المواد الوراثية النباتية والحيوانية فالهكتار الواحد من حديقة أو غابة خضراء يمتص خلال ساعة واحدة مقداراً من ثاني أكسيد الكربون يعادل مايزفره أكثر من 200 شخص خلال هذه الساعة ثم يبدل هذا الغاز السام بالاكسجين النقي .

ظاهرة إزالة وتدمير الغابات وأبعادها :

ظاهرة تدمير الغابات قديمة قدم الإنسان ووجوده علي ظهر الأرض وتطور حضارته عبر التار يخ ، وتفيد وقائع التار يخ وشواهده بأن منطقة الوطن العربي والشرق الأوسط عامة كانت غنية بالغابات نتيجة لمناخها الذي كان رطبا والشاهد علي ذلك التكوينات الهائلة من الوقود من نفط وغاز طبيعي وموارد المياه الجوفية العميقة التي تزخر بها تلك المنطقة الصحراوية الجافة ، وقبل مجيء الأوربيين إلي أمر يكا الشمالية في القرن الخامس عشر كانت الغابات تشغل 75% من مساحتها وحتي 1620م كانت الغابات تشكل 70% من مساحتها ولكن نتيجة للقطع التجار ي والاستخدام في المنشآت العمرانية والاستيطانية تناقصت مساحتها حتي وصلت اليوم الي 15% فقط مقارنة بما كانت عليه .

وارتبط تدمير الغابات في الدول النامية منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين بالاستعمار وماشهدته الدول الاستعمار ية من تقدم صناعي ، فقد قامت الدول الاستعمار ية بتحويل مساحات واسعة من أراضي الغابات في إفر يقيا وأسيا وامر يكا اللاتينية إلى أراض أو مستعمرات زراعية تجار ية لإنتاج محاصيل نقدية لتدوير عجلات المصانع في تلك الدول وتعد البراز يل من أكثر الدول التي تختفي فيها الغابات إذ يتم تدمير غابات الأمازون بمعدل 200,000 كلم2 سنويا أي ملياو ي 2700 متر 2 في الساعة الواحدة ولهذا يقدر أن تنتهي الغابات في ذلك البلد في غضون 35 سنة فقط .

ويلخص الكتاب بعد ذلك أسباب إزالة وتدمير الغابات في عوامل :

1-الاستغلال التجاري والصناعي 2- عامل التلوث 3- عامل الحرائق والعوامل الطبيعية الأخرى .

وهكذا يبدو جليا أن قضية النمو السكاني لم تكن ولايتصور أن تكون هي السبب في إزالة الغابات وتدميرها علىمستوى العالم مهما وضع لها البعض من المبررات والذرائع .

موارد المعادن والطاقة :

للمعادن أهمية بالغة في حياة الإنسان والأمم إلى درجة أنالتطور الحضاري الماديللبشرية فيعصورها المتتابعة قبل التاريخ وبعده يقسم إلى حقب حسب المعدن الذي ساد استخدامه فيها مثل العصر الحجري وعصر النحاس والبرونز والحديد والفحم والصلب وعصر البترول ولاشك أن المعادن بكل أنواعها تكتسب أهمية متزايدة في عصرنا هذا نسبة لما تلعبه من دور حيوي بالنسبة لحاضر ومستقبل رفاهية الشعوب الاقتصادية والاجتماعية وللأمن والاستقرار السياسي .

أما العوامل المؤثرة في إنتاج المعادن فهي :-

1- الموقع الجغرافي من حيث سهولة وصعوبة الوصول للخامات وقربها أو بعدها من الأسواق ومركز العمران أو من طرق النقل الرخيص .

2- تتطلب عمليات التعدين في مراحلها المختلفة رأس مال ضخم وأساليب تكنولوجية وخبرات فنية وإدارية متطورة لاتتوافر لدى معظم دول العالم النامية مما أدي لعدم تمكن هذه الدول من استغلال ثرواتها واضطرارها للاستعانة بالشركات العالمية العابرة للقارات .

مشكلة نفاد المعادن وتفسيراتها :

هناك وجهتا نظر متباينتان تمخض عنهما الجدل الدائر حول مستقبل وفرة المعادن في العالم ، الأولي : هي الأكثر شيوعا في وقتنا الحاضر (وتنسب إلي مالتس)وهذه النظر ية متشائمة وتقضي بحتمية نضوب المعادن ونفادها والثانية متفائلة تر يإلعكس ، فالفئة المتشائمة تر ي أن موارد المعادن نشأت مع نشأة الأرض ولاتتجدد نشأتها فهي توجد بكميات ثابتة وبالتالي فهي قابلة للنفاد والنضوب بالاستخدام ، وتر ي أن تقديرات الاحتياطي تعكسذلك وتر ي أن العالم سيواجه نقصا عاجلا في الكثير منها مثل الصفيح والتنجستون والنحاس والرصاص والزنك والفضة والزئبق والذهب وذلك في الفترة مابين 2000 و2040 وسينفد اليورانيوم في غضون 52 سنة كما سينضب المولبيدنيوم والمانجنيز والالمونيوم والبلاتين والنيكل مابين سنة 2060 – 2090ورأ الخامات الأخر ي لن تستمر أكثر من نصف قرن , وهناك الكثير من المعادن أصبحت الآن نادرة مثل الفضة والزئبق . كما ير ي المتشائمون أن عمر الاحتياطي لكل من النفط والغاز الطبيعي يصل إلي 75 سنة و126 لكل منهما علي التوالي . أما وجهة النظر الثانية فهي للمتفائلين وتنسب أحيانا للاقتصادي ديفيد ر يكارد وتؤمن أنه عندما تنضب الموارد الشحيحة فسيكون هناك دائما موارد جديدة أعلي ثمنا وأكثر تكلفة لتحل محلها وأن كوكب الأرض توجد به إمدادات غير محدودة من الموارد ولكنها ستكلف أكثر وأكثر وهذا يدعو للمحافظة عليها ، وتقول هذه الفئة إن العالم قد لايواجه مشكلة نقص بقدر ماقد يواجه أزمة طاقة تتعلق أما بارتفاع أسعارها أو انقطاع في إمداداتها لأسباب سياسية أو تلوث بيئي ناتج عن استخدامها . وتسوق هذه الفئة أدلة علينظر يتها نوجز بعضها فيما يلي :-

1- إن حدوث ندرة في المعادن سيترتب عليه ز يادة في أسعار المعادن وهذا يؤدي إليز يادة الاحتياطيعن طر يق استغلال الخامات الفقيرة والتيتتو افر في الأرض بغير حدود .

2- الاحتياطي يقوم علي تقدير أو تنبؤ متحفظ للكميات التي يمكن الحصول عليها بسعر معين وبتقنية معينة مما يعني أن أي ارتفاع في الأسعار أو تحسين في

تقنيـة التعـدين يعنـي أن مزيـدا مـن المعـدن يمكـن اسـتغلاله تجاريـا وبالتـالي يـزداد احتياطيه .

3- إن مايستغل الآن من ثروات المحيطات المعدنية لاتزيد قيمته عن 5% فقط وتتمثل معظم هذه الثروات في النفط والغاز الموجودين في تكوينات الرف القاري والمنحدر القاري للمحيطات والتي تعتبر مستودعات ضخمة لموارد البترول والغاز الطبيعي والماس والذهب والصفيح وغيرها من الرواسب المعدنية التي لم يستغل منها سوي قدر محدود حتي الآن .

4- ارتفاع أسعار المعادن يحفز الإنسان للاستفادة من التطور الفني لإنتاج موارد معدنية بديلة لتعويض النقص ومن ذلك ما استطاع العلماء الألمان من تحقيقه باستخلاص مادة النترات من النتروجين الحر في الهواء والذي يشكل 78% من مركبات الهواء أو الغلاف الجوي .

5- الندرة في المعادن يتبعها ارتفاع في الأسعار وهذا يؤدي بدوره إلي ارتفاع عمليات التدوير في المعادن (هو عبارة عن تجميع المعدن المستهلك لإ عادة صهره من جديد) وحدث هذا بالنسبة لمعدن الصفيح مما أدي للمحافظة علي أسعاره في الفترة من 1900 – 1976 إذ لم يرتفع إلا بمقدار مرتين ونصف خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة .

وأخيرا علي ضوء هذه الحقائق التي تثبت عدم وجود نقص أو ندرة في موارد المعادن مع وجود بدائل وحلول متعددة لهذه المشكلة في حال وقوعها كما أنه ليس هناك مايشير إلي تأثير النمو السكاني كعامل من العوامل المؤثرة فى نقص أو ندرة المعادن .

التدهور البيئي :

البيئة هي المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية ، الإنسان والحيوان والنبات ويتكون هذا المحيط من العناصر الثلاث الهواء والماء والتربة .هذا الترتيب من الأهمية بمكان ذلك أن احتياج الحياة للهواء يفوق احتياجها من الماء واحتياجاتها من الماء يفوق احتياجها من الطعام . فمثلا تستقبل رئة الإنسان 15 كم من الهواء ويمتص جسمه 5ر2كجم من الماء و5ر1 كجم من الطعام، كما أن الإنسان يفقد

حياته إذا حبس منه الهواء لبضع دقائق ولن يصمد لأكثر من أيام معدودات أمام العطش ولن يتحمل البقاء لأكثر من أسابيع معدودة بدون طعام ، وقد شاءت إرادة الله أن تتوافر هذه العناصر بقدر حاجة المخلوقات إليها وعلى رأسها الإنسان إذ تبلغ نسبة وزن الأكسجين 53% من وزن كتلة الهواء وتبلغ نسبة الأكسجين 5ر49% من وزن قشرة الكرة الأرضية . وهذا يبين مدي وفرة هذا العنصر الحيوي للإنسان والكائنات الحية الأخري . أما الماء فيغطي 71% من مساحة الكرة الأرضية أما التراب (اليابسة) فإنه مصدر الغذاء ويشكل 29% من مساحة كوكب الأرض . إن الهواء والماء النقيين والتربة الخصبة والحبوب الغذائية والحيوانات وغيرها من الكائنات الحية كلها موارد طبيعية مسخرة لخدمة الانسان ومتوافرة بلا حدود , ولكنها إذا استخدمت استخداما جائرا فاستهلكت بمعدل يفوق المعدل الذي تتجدد به أو استخدمت بصورة تجعل من آثارها البيئية ضارة بالنسبة للحياة فإنها تتحول من موارد متجددة إلي موارد غير متجددة ,لقد تعرضت هذه الموارد مؤخرا لآفة التلوث ويقال إن مشكلة القرن الحادي والعشرين الأولي لن تكون النقص في الموارد ولكن النتائج الايكولوجية الناتجة عن استخدام تلك المواد بمعدلات مرتفعة والتلوث هو (كل تغيير ناتج عن تدخل الإنسان في أنظمة البيئة يسبب ضررا بشكل مباشر أو غير مباشر للكائنات الحية ويشمل ذلك تلوث الهواء والماء و التربة) اتخذت مشكلة تلوث الهواء منحي خطيرا منذ منتصف الأربعينات عندما بدأت عمليات احتراق الوقود العضوي نتيجة استخدامه في الصناعة وخاصة توليد الطاقة الكهربائية وتكرير النفط والصناعات الكيمائية .إذ إن صناعة البتروكيميائيات وحدها تستهلك اليوم 30% من جملة النفط الذي يسوق عالميا ، ومن خلال احتراق الوقود والنشاطات البشرية الأخري تنبعث الأدخنة والأبخرة وكثير من الغازات الملوثة للجو مثل أكاسيد الكربون والنتروجين ومركبات الكبريت ومشتقات الرصاص , فمثلا صناعة تكرير النفط في أمريكا وحدها تجعل مصانع تكرير البترول تنفث نحو 5ر3 مليون طن من المواد الهيدروكربونية للجو سنويا إذ توجد في أمريكا أكثر من 30% من طاقة تكرير النفط في العالم و29% في غرب أوربا و7% في اليابان و19% في روسيا , وتعتبر وسائط النقل مسئولة عن 85% من تلوث هواء المدن في العالم إذ يوجد في كل لتر

من البنزين واحد ملم من مشتقات الرصاص وكمثال في لوس انجلوس يقدر عدد السيارات المتحركة في لحظة ما بثلاثة ملايين ومائة ألف سيارة تطلق في اليوم 2ر3طن من أول اكسيد الكربون و200 – 400 كجم من الغازات الأخري و12 الف طن يوميا من ثاني أكسيد الكربون ، وفي أمريكا بصفة عامة استهلكت سنة 1970 6مليون برميل خام لتنفس في الهواء أكثر من 20 مليون طن من المواد الهيدروكربونية و120 مليون طن من أول اكسيد الكربون وكميات أخري كبيرة من ثاني أكسيد النتروجين ، فتصبح بذلك وسائط النقل مصدر التلوث الأول للهواء في أمريكا ، ومن المظاهر الخطيرة لتلوث الهواء تآكل طبقة الأوزون واختلالها (والأوزون عبارة عن غاز سام وشكل من أشكال الأكسجين يتالف من ثلاث ذرات O3 ويتكون ويتحلل من خلال عمليات طبيعية متوازنة محكمة تجعله يتركز بشكل دائم مستقر في طبقة الجو العليا المعروفة باسم الاسترانوسفير ويلعب هذا الغاز دور الدرع الواقي للأرض وللحياة فيها لأنه يصفي 99% من الإشعاعات الشمسية فوق البنفسجية(ذات الموجات الطويلة) الضارة ويحفظ الغلاف الجوي دافئا ، وقد تبين أن هذا الغاز يتعرض للتلف بواسطة التسرب إلي أعلي لبعض أكاسيد النتروجين الناتجة عن التحلل البكتيري للأسمدة النيتروجينية وليس أكاسيد النتروجين التي تطلقها الطائرات وبواسطة مركبات الفلوروكربونات المستخدمة من قبل الثلاجات وأجهزة التكييف والمبيدات الحشرية وأجهزة التنظيف إلي جانب مجموع الهالوجينات ومادة الميثيل والكلورفورم كربون تترا كلوريد المستخدمة في الصناعات الألكترونية والحاسبات والتلفزيونات وأجهزة الأرسال والاستقبال وكل هذه المواد لاتتحلل بالتفاعلات الكيميائية في طبقات الجو السفلي ولكنها تنتشر ببطء للطبقات العليا وعند ذلك تتحلل بسبب الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس وينتج عن ذلك ذرات الكلورين التي تؤدي من خلال سلسلة تفاعلات أخري إلي تدمير طبقة الأوزون , وتفيد الإحصائيات بأن أكثر من 8 بلايين كجم من مركبات مادة الفلوركربونات قد تسربت إلي الجو مما أدي إلي حدوث ثقب في طبقة الأوزون والذي تتردد اصداؤه في العالم الآن وجدير بالذكر أنه علي ر أس الدول المنتجة لهذه

المادة التي تدمر طبقة الأوزون، أمريكا ودول غرب أوربا واليابان وروسيا وعدد قليل جدا من دول العالم الثالث .

علاقة التدهور البيئي بالنمو السكاني :-

الأمر المهم الذي يجب أن نشير إليه هنا هو أن التلوث الناتج من صنع الإنسان تبقي أضراره جسيمة علي الإنسان والبيئة لأن مواده لاتتحلل بسهولة ويسر أما المخلفات الناتجة عن مخلوقات الله تعالي مثل فضلات ومخلفات الإنسان والحيوان والنبات فإنها تبقي غير ضارة بسبب قابليتها للتحلل الطبيعي السهل بل وللتدوير وتتم إعادة عناصرها مرة أخري لفائدة الإنسان والحيوان والنباتات في شكل سماد يستخدم لإنتاج الغذاء ، فشتان بين صنع المخلوقات القاصرة وصنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه , وعلي كل حال فإن التلوث يرتبط بالتقدم والنمو الاقتصادي والتطور الحضاري والحضري والتكنولوجي, بيد أن ارتباط التلوث بالإنسان لايعني أنه كلما زاد عدد السكان ازداد التلوث . إن العلاقة بين التلوث ونمو السكان لم تكن في يوم من الأيام واضحة تماما , يقول الكاتب باري كومنر (إن النظرية القائلة بأن التدهور البيئي وعلي رأسه التلوث سببه نمو السكان لاتدعمه بيانات) إن سكان الدول الصناعية في أمريكا الشمالية وأوربا وآسيا والباسفيكي يتحملون المسئولية الكبري بالنسبة للتدهور البيئي عامة والتلوث خاصة علي المستوي الكوني بالرغم من أن نسبتهم لاتتجاوز خمس سكان العالم 20% فإن مساهمتهم في التلوث البيئي تصل إلي 90% ومما يدل علي أن مجرد النمو السكاني ليس هو العامل المؤثر فى التلوث وارتفاع درجة الحرارة ، إن الإنسان يؤثر فى البيئة بعمله وفعله وليس بمجرد وجوده المادي المباشر فالإنسان العادي يضيف ومن خلال وجوده الجسماني فقط علي الأرض مقداراً من الحرارة بقدر مايضيفه مصباح كهربائي قوة 100 شمعة ولكن نفس هذا الشخص يضيف من خلال وجوده المادي زائدا استخداماته المباشرة و غير المباشرة للطاقة عبئا حراريا بمقدار 5 مصابيح كهربائية قوة 100 شمعة غير أن وجود الإنسان في الدول المتقدمة مثل أمريكا يضيف بوجوده زائدا استخدامه للطاقة مايعادل حرارة 100 مصباح قوة 100 شمعة .

الدور الإيجابي للنمو السكاني :

لقد كشفت التحليلات الواردة في الفصول السابقة من هذه الدراسة لمشكلات البيئة والموارد الطبيعية في العالم ودور النمو السكاني في ذلك وعن وجود عوامل متعددة ومتنوعة مفسرة لمشكلات نقص موارد الغذاء والمياه والمعادن والطاقة وتدهور مقومات البيئة ومواردها الأخري , كما أكدت التحليلات أنه لاوجود لعلاقة ارتباط واضحة بين عامل النمو السكاني وأي من تلك المشكلات المذكورة ، وفيما يلي تلخيص مختصر لإيجابيات النمو السكاني :-

1-يعتبر التكاثر والتناسل في الإسلام أمرا طبيعيا وغريزة فطرية لدي الإنسان ، إذ إن نظرة الإنسان تقوده لطلب الولد وكثرة الذرية باعتبار أن زيادة النسل أحد مقاصد الشريعة الخمس ، ولقوله تعالي (أيّ ها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالي (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) النحل .72

2- بطء النمو السكاني أو وقفه في أي بلد يعطل نمو الاقتصاد ويعجل باستنزاف الموارد فيها بالاستهلاك الموجه نحو خدمة وتلبية احتياجات قطاع كبار السن والمسنين ويعجل بتحويل المجتمع إلي مرحلة الشيوخة مما يترتب عليه تعطيل نمو القوي العاملة المنتجة ، وقد تأثرت بعض الدول المتقدمة بهذه الظاهرة مثل اليابان التي اعترفت بأن اقتصادها يدخل مرحل حرجة منذ عام 1975م بانخفاض معدل النمو الاقتصادي بسبب شيخوخة المجتمع الناتج عن توقف السكان عن النمو لفترة طويلة ، وقد ظهرت هذه الآثار في المجتمعات الغربية بالفعل فلجأت الأسر إلي الاستئناس بالحيوانات الأليفة المنزلية من قطط وكلاب لكسر طوق العزلة والوحدة التي افتقدوها باختفاء الأطفال من حياتهم .

3- أكدت نتائج بعض الدراسات التي أجريت حديثا بأن هناك علاقة ارتباط وثيقة ومتبادلة بين الإبداع والسكان بحيث وجد أن زيادة عدد المبدعين من النوابغ والعباقرة وسط المجتمع تؤثر وتتأثر بحجم السكان وتزايد عددهم ، إذ إن تزايد السكان وتوافر البيئة الثقافية يدفع حركة الإبداع الفني والعلمي فالابتكارات والاختراعات الجديدة التي تفجرها العقول المبدعة تؤدي للسيطرة علي مصادرالطاقة وذلك يهييء

فرص نمو السكان وتزايدهم مما يؤدي إلى مزيد من العبقريات المبدعة وهكذا فإن التناسب طردي بين العبقرية والنمو السكاني .

4- إن شعوب الدول النامية تمتلك كما هائلا من الموارد البشرية والطاقات والذكاء ومقومات الإداع لإذا استطاع 20% من سكان العالم إقامة هذه الحضارة المادية الفخمة فإن 80% من السكان يعيشون في الدول النامية يمكنهم فعل المعجزات إذا وجدوا فرصة الانطلاق إذ إنهم ليسوا أقل موهبة ولا أدني مرتبة ، فالعقل الإنساني كما يقول الفيلسوف ريكارد هو من أعدل الأشياء قسمة بين الناس ، وجدير بالذكر أن سكان الدول النامية من العقول المهاجرة للغرب لهم دور كبير في كثير من التقدم العلمي في الغرب .

مخاطر استراتيجية تحديد النسل:

بناء علي اعتماد خيار وقف النمو السكاني عن طريق تحديد النسل قامت الدول المتقدمة بوضع استراتيجية عالمية لهذا الغرض وحاولت فرضها بشتي الوسائل علي جميع دول العالم وخاصة دول العالم الثالث وتقوم الاستراتيجيةعلي :

1- استخدام طرق صناعية لمنع الحمل والتحصين مثل الطعن بالحقن الهرمونية تحت الجلد (تمنع الحمل لمدة طويلة)

2- محاربة الإنجاب بطريقتين (أ) إلغاء دور المرأة كربة منزل ومربية أطفال (ب)الوصول للهدف بدعوي تعليم المرأة لإزالة الجهل والأمية والظلم الواقع عليها .

3- إلغاء دور الأسر القائم علي الزواج والأمومة والأبوة والميراث وغيرها من الوشائج الشرعية واستبدالها بمفاهيم قائمة علي التحرر في ممارسة الجنس والإنجاب خارج نطاق الأسرة بإباحة الزنا والإجهاض .

4- إنشاء بنوك لبيع الحيوانات المنوية والتلاعب بالأجنة البشرية بالبيع والهبة وغير ذلك من الممارسات غير الأخلاقية التي لايقرها الإسلام أو أي دين سماوي آخر .

5- اللجوء للمنظمة الدولية كستار واستغلال قوتها وتسخيرها لترويج الأفكار والمفاهيم الخاصة بتحديد النسل وقد تم إنشاء صندوق الأمم المتحدة للسكان لهذا الهدف .

التصور الإسلامي للحل :

يعتمد هذا التصور علي فكرة :

1- أن الله سبحانه وتعالي هو خالق الأرض والإنسان فهو الخالق الرازق (وجعل لها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) . ولقوله تعالي (والله يعلم ماتحمل كل أنثي وماتفيض الارحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار)الر عد (8)

2- مما يدل علي أن فرص استغلال الأرض وما بها من أسباب الحياة مازال فيه متسع كبير، ذلك أن العناصر التي عرفها الإنسان حتي الآن تبلغ ألفي عنصر ولكن لم يتمكن من الاستفادة حتي الآن الا من 107 من هذه العناصر وهي التي تدخل في تركيب مختلف السلع والمنتجات من أسمدة ومبيدات و أغذية و أدوية وملبوسات .

3- أن معاني البركة التي أودعها الله في الأرض دوران العناصر ، فكما أن للماء دوره كذلك للغازات دورات مثل دور ة الكربون ودورة الاكسجين والنيتروجين وفي كل دورة يتحد الغاز أو العنصر مع غيره لينتج أشياء أخري ثم يعود مرة أخري الي مستودعهفي الأرض لتبدأ دور ة جديدة وعلي مستوي آخر فإن المركبات من نفس العناصر تتحد أو تتعاون بشكل أو آخر لتكون سلسلة أعلي من الأشياء التي سخرها الله للإنسان فحوارة الشمس بالتعاون مع دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس تولد التيارات البحرية والرياح التي ينتج عنها توزيع الأمطار والحرارة في العالم وبالتالي أنماط المناخ المختلفة ، كما أن المناخ هو الذي يحدد الغطاء النباتي والمناخ والغطاء النباتي يحددان نوع التربة وبتفاعل المناخ والنبات والتربة يتحدد نوع وعدد وتوزيع الحيوانات في العالم .

4- من جملة 000ر350 فصيلة نباتية توجد 000ر80فقط صالحة لغذاء الإنسان وعلي مدي تاريخ الإنسانية لم يستعمل الإنسان سوي 000ر3 فصيلة فقط لغذائه بل إنه يعتمد علي 16 فصيلة فقط لغذائه بنسبة 75%وكل هذا يدل علي أن ما ادخره الله للإنسان في هذه الأرض مازال كثيرا جدا .

كيفية الحل :

واضح مما سبق أن محاربة الفقر هي الحل الأمثل لهذه المشكلة أو عدالة التوزيع فلابد من التنمية الاقتصادية للبلدان النامية مما ينتج عنه زيادة الدخل وعدالة التوزيع ، إن الحل الإسلامي لاينطلق من إزالة الفقر ورفع الحاجة عن الناس بالتنمية وتوفير الأن المادي والغذائي والعناية بذلك باعتبار أن ذلك شرط ضروري مسبق لكي تتم عملية اختيار الإنسان بين الإنجاب أو عدمه بحرية تامة وبصيرة متفتحة ومسئولية كاملة , وقد أجاز الفقهاء تنظيم النسل باستعمال الموانع والعقاقير الطبية التي تمنع الحمل وفقا لما تقتضيه الضرورة ولكن ليس تأسيسا بنظرية عدم كفاية الغذاء لإعاشة البشرية فإن هذا المفهوم يتناقض مع الأصل الاقتصادي في الإسلام الذي يعمل علي الحفاظ علي كيان الأمة وعدم اختلال الموازنة السكانية بينها وبين الأمم الأخرى.

في ختام هذه الدراسة يقول البروفيسور جعفر حسن الشايقي (إذا كان غيرنا قد تناصروا لدعم فكرة شاذة بل وفاسدة من وجهة نظر الإسلام و أقاموا لذلك المنظمات والجمعيات والمراكز البحثية والعلمية المدعومة ماديا ومعنويا علىمستوى العالم أي إذا كان بعضنا أولياء بعض أو لسنا أولىو أحق بالتناصر منهم استجابة لقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)

وذلك لدعم فكرة صالحة من أجل التكاثر وزيادة النسل فلابد من إقامة مراكز البحوث الإسلامية للسكان والمنظمات والجمعيات والمؤسسات النظيرة أو المناهضة لتلك الداعية للحد من التكاثر السكاني في إطار دولنا ومجتمعاتنا المسلمة وندعمها ماديا ومعنويا خدمة للأمة أفرادا وجماعة ابتغاء مرضاة الله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (الأنفال 73) .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (التوبة 71) .